الجيش الإسرائيلي يحول غزة إلى مقبرة. هل إسـرائيل دولـة مارقـة ؟

بقلم سلفيا كاتوري Silvia Cattori

ترجمة : أ. رشيد أبو ثور

المصدر : موقع سلفيا كاتوري

Silvia Cattori http://www.silviacattori.net/article430.html

مقدمة المترجم

كلما كان رئيس غربي سيلتقي بزعيم عربي أو من العالم الثالث إلا وسمعنا بأن قضية حقوق الإنسان ستكون على جدول الأعمال بين الطرفين؛ بمعنى أن الأصل في الرئيس الغربي الديـموقراطي ألا يصافح زعيما دكتاتوريا؛ لكن، وبما أن الهدف الحقيقي من اللقاء هو إبرام اتفاقية اقتصادية تخدم بالأساس مصلحة الشركات الغربية، فيتم إيجاد إخراج لهذا اللقاء يرفع العتب، بالإشارة إلى أن القائد الغربي الآتي من دولة لها حس جد مرهف حيال الاستبداد، لا يمكن أن يسكت عن التجاوزات الحقوقية، وأنه سيطرح هذا الملف مع الزعيم المستبد. غير أنه لابد من التساؤل لماذا لا يهتز هذا الحس المرهف للقادة الغربيين للفظاعات المروعة التي تحدث في قطاع غزة، حيث يحاصر مليون ونصف من البشر، نساء ورجالاً، شيباً وشباباً وأطفالاً ورضعا، ثم يتم قصفهم بالدبابات والصواريخ والطائرات لتتطاير أشلائهم على شاشات القنوات الفضائية، بشكل لا يمكن أن يتجاهله أحد ؟ فأين هو ذاك الضمير الإنساني الذي لا تخلو مناسبة ـ غير متصلة بالجرائم الإسرائيلية طبعا ـ إلا ويتم استدعاءه وكأنه "ماركة غربية مسجلة" ؟

مما لا شك فيه أن لهذا الصمت الغربي المريب حيال الجرائم الإسرائيلية سببين : أولهما هو التواطؤ الغربي الواضح مع قاعدته العسكرية الصهيونية المتقدمة [1] التي أنشأها في قلب الأمة العربية بغية تقويض كل محاولة لها للنهوض والوحدة واسترجاع السيادة الحقيقية؛ ثم هناك الحملة الصهيونية التي قد تشن على كل صوت حر ونزيه تعالى للتنديد بالجرائم الصهيونية في حق الشعب الفلسطيني وشعوب المنطقة. لكن، و رغم كل محاولات الدولة العبرية لتكميم الأفواه، لدرجة أنها تمكنت من استصدار قوانين جعلت أوربا تمنع مثقفيها وباحثيها من التعبير عن آرائهم العلمية بكل حرية في قضايا تاريخية محضة مثل قضية الهولوكوست، وجعلت تهمة معاداة السامية التي يعاقب عليها القانون، سيفاً مسلطاً على رأس كل من أصغى إلى

ضميره العلمي وخالف الأطروحة الصهيونية، رغم كل هذا، يتحدى كثير من ذوي المروءة والعقل السليم والوجدان الإنساني النظيف التهديدات الإسرائيلية ويرفع صوته ليعبر عن الموقف الذي يمليه عليه موقعه السياسي أو الفكري أو الإعلامي إبراء لذمته واحتراما لإنسانيته. فلقد كتب الفيلسوف روجي جارودي كتابه "الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل" وتعرض بسببه للمحاكمة؛ وشكك المؤرخ البريطاني ديفيد أيرفينج في كتابه "نورمبرج : المعركة الأخيرة" في عدد ضحايا الهولوكوست (المحرقة) اليهودية على يد النازية، وعوقب على هذا التشكيك؛ ولم تسلم صحيفة لوموند من تهمة معاداة السامية حين نشرت سنة ١٩٨٢ م بيانا يحمل عنوان: "بعد مجازر لبنان.. معنى العدوان الإسرائيلي" وقعه روجيه جارودي، والأب ميشيل لولون صاحب أعلى صوت في الدعوة لحوار الأديان، والقس إيتان ماتيو أحد أبرز وجوه الطائفة الإنجيلية الفرنسية، ليقدم جاك فوفيه مدير تحرير الصحيفة الفرنسية والموقعين الثلاثة للمحاكمة، وكلهم من أشد مناهضي العنصرية ومعاداة السامية. وألصقت نفس التهمة سنة ١٩٧٩ بروبير فريسون الباحث الفرنسي المتخصص في النصوص القديمة، حيث حكمت عليه المحاكم الفرنسية بغرامات باهظة أدت إلى إفلاسه وانهيار عائلته ماديا وجعلته يعيش في أجواء من الخوف والهلع المتواصل...والقائمة تطول كان آخرها إقالة برونو غيغ نائب رئيس مديرية سانت جنوب غرب فرنسا لأنه نشر مقالة في ١٣ آذار (مارس) ٢٠٠٨ قال فيها إن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي يقتل فيها فناصة فتيات لدى خروجهن من المدرسة؛ كما سخر من السجون الإسرائيلية حيث يتوقف التعذيب بحكم القانون الديني خلال يوم السبت اليهودي.

ورغم ما يتعرض له أصحاب الضمائر الحية من هذا الطراز من معاناة، فلن يتوقف الغرب عن إنجاب من لا يترددون أمام قول الحق مهما كلفهم ذلك من ثمن، ليكشفوا زيف وإجرام الدولة العبرية المصطنعة للرأي العام الذي غالبا ما ضللته الدعاية الصهيونية. ومن أشهر هؤلاء الرئيس السابق للولايات المتحدة جيمي كارتر الذي تشر في ديسمبر٢٠٠٦ كتابه "فلسطين: السلام وليس الفصل العنصري" Palestine: Peace Not Apartheid الذي جاء فيه : "الفلسطينيون شعب تضرب جذوره في عمق التاريخ على هذه البقعة من الأرض، ولقد سبقوا أي شعب آخر في التوطن في هذه البلاد الممتدة ما بين نهر الأردن والبحر المتوسط، ولو أنهم كانوا دوماً جزءاً من إمبراطوريات عظمى كالإغريق والرومان والأتراك والبريطانيين. وأرض كنعان أو فلسطين اشتق اسـمها من سكان كانوا يقيمون على ساحل بحرها يسمون "الفلسطينيين"، أي شعب البحر، وكانوا معروفين بشدة بأسهم وبراعتهم في ميادين القتال ضد كل من يحاول الاعتداء عليهم واغتصاب أرضهم، وقد تغلبوا حتى على الملك داوود الذي كان معروفاً بقوته في ذلك الوقت".

وتطرق الكتاب للفصل العنصري والإذلال على حواجز التفتيش والعنف المتزايد ضد الفلسطينيين والممارسات الإسرائيلية غير الإنسانية التي تهدف لتهجير الفلسطينيين أو استفزازهم لارتكاب العنف كي تنتقم منهم وتقتل وتواصل الجرائم ضد هذا الشعب المسكين. وفضح الكتاب ازدواجية المعايير الأميركية تجاه انتهاك حقوق الإنسان واحترام المواثيق الدولية، كما فضح

خوف الطبقة المفكرة وطبقة المثقفين وجبنها في التكلم بصوت مرتفع كما يحدث في أوروبا، ضد الانتهاكات الإسرائيلية. وفضح الكتاب كذلك الإفلاس الأخلاقي الذي يطبع المؤسسات واللوبيات التي تدعي أنها تمثل اليهود الأميركيين.

غير أن الطبقة المثقفة في أوروبا ليست كلها، كما مر معنا، خانعة ومتزلفة للسيد الإسرائيلي.وتعتبر الصحافية السويسرية المستقلة سلفيا كاطوري Silvia Cattori من نساء الإعلام التي لا تردد في تسمية الأمور بمسمياتها وفضح الحقيقة التي يتعامى عنها الآخرون. حيث جعلت للمقالة التالية عنوانا جريئا :

الجيش الإسرائيلي يحول غزة إلى مقبرة. هل إسرائيل دولة مارقة ؟



سلفيا كاطوري Silvia Cattori

"إن ما تنـزله إسرائيل بالفلسطينيين هو منتهى الشر"، هذا ما صرح به الرئيس السابق للولايات المتحدة جيمي كارتر، خلال زيارته الأخيرة للشرق الأدنى."





"أودي الدمار الذي أحدثته طائرات F16 الإسرائيلية في بمخيم البريج بحياة ٩ أفراد وجرح ٥٠ آخرين في ٠٩ فبراير ٢٠٠٨."(rafahtoday.org)

إضافة إلى هذا، امتلك الرئيس كارتر شجاعة تحدي غضب حكومتي إسرائيل والولايات المتحدة بلقائه في دمشق رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، خالد مشعل، ليفك بالتالي العزلة ويبطل الشيطنة التي تصر الدبلوماسية "الغربية" على إبقاء هذه القوة السياسة المنتخبة ديمقراطيا في شهر يناير ٢٠٠٦، حبيسة لها. [٢]

رائع جيمي كارتر !

بهذه المبادرة الدبلوماسية الإنسانية البسيطة، تمكن جيمي كارتر بمفرده من مسح عار انتسابنا لهذا المجتمع "الغربي" الذي يستمر في مساندته العمياء لدولة استعمارية قد مسحت فلسطين من الخارطة، ولا زالت منذ ٦٠ سنة تشن على شعب أعزل عمليات عسكرية ذات طبيعة إرهابية، وتخضعه لسياسة الفصل العنصري والاغتيالات المستهدفة، الذي تسمى "غير خاضعة للمسطرة القضائية". وكنا نتمنى لو أن رؤساء آخرين امتلكوا الشجاعة لإدانة جرائم الحرب الإسرائيلية بنفس الوضوح الذي تكلم به السيد كارتر.

لقد خربت إسرائيل الشرق الأوسط، واقترفت جرائم بالغة الخطورة بخرقها قواعد القانون الدولي. ومع ذالك يطالب الاتحاد الأوروبي بكل بذاءة الفلسطينيين وإخوانهم العرب بالاعتراف بـ"حق إسرائيل في الوجود" كـ"دولة يهودية"، مما يعني

إضفاء الشرعية على الفصل العنصري، وحرمان اللاجئين الفلسطينيين من حقهم في العودة، مثل غيرهم من اللاجئين عبر العالم، إلى أراضيهم وبيوتهم التي طردوا منها !

وكما قال محقا المثقف الفلسطيني عمر البرغوثي، " لا يحق لأية دولة أن تقوم على أسس عنصرية" [٣]؛ دولة تحكم الرعب بقتلها يوميا النساء والأطفال الذين يعثر عليهم أهلهم المكلومون، ممزقين؛ دولة تستطيع في بضع أيام، أن ترتكب مجازر فظيعة، تبيد من خلالها، كما حصل في غزة، المئات من الأبرياء، بقذفهم بقنابل تنثر مئات النبال المفولدة الحادة التي تخترق الأجساد، وتبتر الأطراف وتقتل الأنفس وتحدث ألاما لا تطاق، دون أن يحرك ذلك ساكنا ـ وهذا ما يجب أن يقال ـ لدى ديمقراطيينا، ولا أن يثير لديهم أدنى عبارات السخط؛ فدولة من هذا القبيل، يجب أن تفضح وتدان.

فبينما نحصل نحن على العلاج الأفضل، وعلى مستشفيات وأدوية للتخفيف عن مرضانا وجرحانا وعلاجهم، يموت المرضى في غزة لأن إسرائيل تمنع دخول أي شيء وتقصف المستشفيات. فلقد خرب الجيش الإسرائيلي يوم ١٦ أبريل مستشفى الوفاء لإعادة التكييف الصحي، معرضة بذلك حياة المرضى والطاقم الصحي للخطر، بحرمانهم من الماء والكهرباء، بشكل اضطر معه الأطباء الجراحين إلى إيقاف عملياتهم. فلقد مات في غزة بسبب غياب العلاج ، المرضى الذي كان من الممكن شفاؤهم. وهكذا قضت سهى الجمباس، المصابة بالسرطان وهي في الثانية والعشرين من عمرها، لأن الجيش الإسرائيلي رفض، كما رفض لـ ١٣٣ شخص آخر قضوا كلهم قبلها، السماح لها ولهم بالذهاب إلى مصر للعلاج.

وغداة مذبحة البريج [٤]، قال الزير الأول إيهود أوليمرت بكل وقاحة بأنه سيجعل "حركة حماس تدفع ثمن ما يحدث في غزة." لكن، من يدفع ثمن هذا العذاب وهذه المعاناة ؟ المعتدي أم الضحية التي تقتل؟ فماذا عسى إسرائيل أن تفعل أكثر ما فعلته بهؤلاء الأطفال بعد ما جوعتهم وأرهقت أجسادهم وجعلتهم في حالة نفسانية مقلقة ؟ ماذا عساها أن تفعل أكثر ما فعلته بهؤلاء الآلاف من المرضى المرعوبين المتروكين لمواجهة مصيرهم لانعدام العلاج، والذين سيموتون الواحد تلو الآخر لغياب الأدوية ؟ كيف يمكن لمجتمعاتنا أن تقبل بهذا الوابل من الظلم والفظاعات ؟ لماذا تكتفي حكوماتنا بمطالبة "الطرفين بضبط النفس"، وكأنه بإمكاننا أن نساوي بين المحتل والمغتصبة أرضه؛ بين الجلاد والضحية !

لم نعد نحتمل هذا الموقف الملتوي الذي يداري إسرائيل ويحتقر الضحايا العرب. فلقد قالت لنا مؤخرا امرأة من أهالي رفح بمرارة : "إنهم يقتلوننا بقذفنا بصواريخ تحمل ٣٠٠٠ رطل من المتفجرات. وبإمكان طن من متفجرات TNT كهذه أن تمحو حيا بكامله. وكانت إسرائيل قد قصفت بصاروخ من هذا النوع مسجدا برفح، مما أدى إلى تدميره مع ١٥ منزلا مجاورا. إنهم يحكمون علينا بالموت ويجرعوننا السم ويحاصروننا ويقطعون عنا الغذاء ويقصفوننا ويمنعوننا من الحصول على الأدوية، ويحرموننا من المواد الحيوية مثل "مادة الكلور" التي نستعملها لتنظيف الماء، وبعد ذلك يبيعون لنا خسهم المسمم بالمبيدات بأثمنة خيالية".

للفلسطينيين الحق في الحياة والحماية مثل أي شعب مضطهد من طرف من هو أقوى منه. فلم يسبق أن تمت التغطية على حرب تخوضها دولة محتلة بهذا القدر من الكذب والتضليل والنفاق وبهذا الشكل المتواصل كما يحدث مع الفلسطينيين. ولابد من توجه اللوم حتى لمن يسمون"أصدقاء فلسطين"، من دعاة السلام الإسرائيليين الذي يحاطون بهالة من المثالية، لأن الاكتفاءهم بإدانة الاحتلال الإسرائيلي وجرائمه، غير كاف لجبر المظالم المقترفة في حق الفلسطينيين. فالصدق والشرف يقتضيان التعرض لجذور المشكل، بالمطالبة ليس فقط بوضع حد للاحتلال، بل بالمطالبة كذلك بحق اللاجئين في العودة إلى ديارهم، وبإنهاء الميز العنصري المشرع رسميا ضد الفلسطينيين، في إطار دولة تمنح حقوقا متساوية لجميع سكانها.

لا يمكن أن يستمر أتباع الديانة اليهودية في استغلال الجرائم التي اقترفها النازيون في حقهم لتبرير وجود دولة عنصرية على أراضي سلبت من العرب. إن كل هذا غير مقبول. لقد أضحى قطاع غزة بالنسبة لساكنيه سجنا محكم الإغلاق ، لا يغادره إلا من يتوفر على ترخيص بالخروج VIP، وهو ترخيص يمنح حسب رغبة الإسرائيليين وباتفاق مع السلطة الفلسطينية في رام الله؛ وهي سلطة فاسدة تساهم في تصفية حركة حماس وتعمل ضد مصالح شعبها. فالفلسطينيون الذي يلاقون أشد ألوان العنف من الإسرائيليين، لا يستحقون هذه الخيانة العظمى. وليس أمامنا إلا التطلع إلى حلول الوقت الذي سيحاسب فيه أمام التاريخ كل من ارتكب جريمة أو خدم بشكل أو آخر مصالح المحتل الإسرائيلي.

الهوامش

(١) قال أفكدور ليبرمان بأن على إسرائيل أن تكون قاعدة متقدمة للاتحاد الأوروبي وعضو فعلي في الحلف الأطلسي.

Avigdor Lieberman: Israel should press to join NATO, EU, Haaretz, January 1, 2007

(٢) لقد سبق للسيد جمي كارتر أن أثار زوبعة بذكره حقائق مزعجة لإسرائيل في كتابه " فلسطين ، السلام وليس الفصل العنصري".

(٣) يراجع مقال عمر البرغوثي " لا يحق لدولة أن تقوم على أسس عنصرية"

Réseau Voltaire, 6 décembre 2007

(٤) في ١٦ أبريل ٢٠٠٨ أطلقت طائرات ودبابات إسرائيلية صواريخ على مخيم البريج البائس لتقتل ١٨ مدنيا ، من بينهم ٥ أطفال. وفي نفس اليوم قتل عمدا جندي إسرائيلي من داخل دبابته ، المصور الصحفي الفلسطيني فاضل شناعة الذي يعمل لوكالة رويترز Reuters ، وهو في الـ ٢٣ سنة من عمره .